الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم
أهميته وبعض من وجوه إعجازه

✍ **د. صديق احمد مالك** (★)

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأودع كتابه أحكاماً وحكماً، وضمنَّه قصصاً وعبراً، وأشهد أنّ سيدنا محمد عبده ورسوله بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

فإنّ الله أنزل كتابه العظيم على قلب نبيه الكريم صلّى الله عليه وسلّم وجعله رحمةً للعالمين، وحجةً على الخلق أجمعين، فيه الهداية، والكفاية، والنّجاة والسعادة. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به هُدي إلى الصراط المستقيم ، كتابٌ لا ريب فيه، ولا نقصٌ يعتريه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

أعجز العرب الفصحاء وجهابذة اللغة البلغاء، وتحدّاهم أن يأتوا بعشر سورٍ مثله، أو بأقصر سورةٍ منه، بل وتحدّى الثقلين، إنساً وجناً، أن يأتوا بمثله فلم ولن يأتوا بمثله أبداً كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1]، وكما قال عزّ وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] ، أنزله الله في أوجز لفظٍ وأفصح أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته

(★) الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية ..

(١) سورة البقرة: الآيات ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨ .

الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، وهذا القرآن العظيم قد بهر الله به العلماء بما تضمّنه من وجوهٍ متعدّدة في إعجازه، فهو معجزٌ في أسلوبه وألفاظه ولغته وبلاغته، ومعجزٌ بتراكيبه وأساليبه، ومعجزٌ في إخباره عن المغيبات ومعجزٌ في أحكامه، وتشريعاته، ومعجزٌ بتأثيره في النفوس،يقول القاضي عياض رحمه الله: اعلم وفقنا الله وإياك أنَّ كتاب الله العزيز منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها أربعة وجوه:

أ/ حسن تأليفه والتآم كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة.

ب/ صورة نظمه العجيب ،والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها، ونثرها الذي جاء عليه.

ج/ ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر.

د/ ما أنبأ به من أخبار القرون السابقة(١).

إنّ القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغاً لا يدانيه فيها أي كلام آخر مع طول نفسه، وتنوع مقاصده ،وأنّ المتأمّل في كلمات الجملة الواحدة يجد فيها من التآخي والتناسق ،ما يجعلها رائعة التجانس والتجاذب وكذلك جمل الصورة الواحدة فيها من التشابك والترابط ما يجعلها وحدةً صغيرةً متآخذة الأجزاء ومتعانقة الآيات وبين سور القرآن من التناسب ما يجعلها كأنما هي سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار وتذهب بالعقول والأفكار.

أسباب أختيار الموضوع:

---

(١)كتاب الشفا، القاضي عياض ج١ ص٢٥٨

(١) أهمية الإعجاز اللغوي خصوصاً في واقعنا المعاصر، وبإثباته يستلزم منه إثبات جميع وجوه الإعجاز الأخرى ،لأنّها تبع له، ويرى كثيرٌ من العلماء أنّ الإعجاز اللغوي هو الأصل الذي وقع به التحدي.

(٢) الوقوف على فصاحة القرآن، وبلاغته العالية، والتي تمتلك القلوب، وتنشرح لها الصدور، وتسمو بها النفوس، فهي التي انبهر لها العلماء وأقرّ بها العقلاء.

(٣) المساهمة في المكتبة الإسلامية بهذا اللّون المهم من الدراسة، لأنّ الحاجة ماسة، ومتجددّة للكتابة حول إعجاز القرآن الكريم، والذي يدلّ بصورةٍ قاطعةٍ على أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٤) وجوه الإعجاز في القرآن متجددة ومتعددة، وليست محصورة بوجوهٍ بعينها وكلّما تطوّر الزمان، واستنار المكان، وامتلكنا زمام العلم والمعرفة يرسّخ ذلك من إعجاز القرآن وأسراره.

منهج الدراسة :

اتبع الباحث المنهج التحليلي وفق الخطوات الآتية: -

(١) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها.

(٢) وضع علامات الترقيم في مواضعها المناسبة ،حتى تعين القارئ على فهم النص.

(٣) تخريج الأحاديث الواردة من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به

(٤) عدم الترجمة للأعلام المذكورين في ثنايا البحث، مراعاة للإيجاز الذي يناسب مثل هذه البحوث.

خطة الدراسة :

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة:

المقدمة: عرضت فيها سبب البحث، وخطته.

المطلب الأول: تعريف الإعجاز وبيان بعض أنواعه.

المطلب الثاني: أهمية الإعجاز اللغوي.

المطلب الثالث: من أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن.

المطلب الرابع: الوجوه والنظائر ودلالات الإعجاز اللغوي.

المطلب الخامس: أسلوب عرض القرآن.

المطلب السادس: نماذج من بلاغة القرآن.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصلت إليها.

تمهيد

لا نبالغ إذا قلنا إن الإعجاز إذا أُطلق يتبادر إلى ذهن السامع أن المراد منه اللغوي، وقد جاءت نصوص القرآن مبينة لهذا المعنى بوضوح قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾⁽¹⁾ وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾⁽²⁾ وكل إعجاز يذكر في القرآن ـ العلمي أو الغيبي أو التشريعي لا يخلو من اللغوي لأن الألفاظ هي القوالب التي تؤدي بها المعاني وذلك التعبير نفسه معجز قال تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾⁽³⁾ .

والعلماء قديماً ألّفوا في إعجاز القرآن لا يقصدون بذلك إلا البياني، فمن أوائل من ألف في ذلك أبو الحسن الرماني (النكت في إعجاز القرآن) ،ثمّ أبو سليمان الخطابي ،ثم البقلاني الذي يعتبر كتابه (إعجاز القرآن) مرجعاً مهماً لكل من جاء بعده،لأنّه فريد من نوعه، وكانت همة أساطين البلاغة وعلماء الكلام التأليف في هذا العلم فألّف أبو بكر الجرجاني (دلائل الإعجاز) إلى أن جاء السيوطي فألّف (معترك الأقران في إعجاز القرآن) وتتابعت المصنفات في هذا العلم ومن أفضل ما كتبه

---

(1) سورة الطور الآية: ٣٤.

(2) سورة يس الآية: ٦٩ .

(3) سورة فصلت الآيات: ٤١ ـ٤٢ .

المعاصرون (النبأ العظيم) للدكتور عبد الله دراز، وكل هذه المؤلفات وغيرها تخدم القرآن الكريم وتحاول أن تظهر بعض معجزاته الباهرة التي يمكن إدراك كنهها لأن سبك القرآن فوق مفهوم البشر فألفاظ القرآن موغلة في المعاني لابسة حلل المباني لذلك لما سأل محمد بن بشار شيخ البخاري المعروف ب(بندار) عن موضع الإعجاز في القرآن أجاب جواب العقلاء فقال (هذه مسألة فيها حيف على المفتي).

لكن لم يعدم الباحثون، أو المتأملون الخير إذا اشتغلوا باستخراج هذه الكنوز وتدبر معانيها وإن تداخلت أفكارهم ،وتنوّعت أساليبهم كل بما فتح الله عليه

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

فالقرآن مشتمل على الأمثال ،والحكم ،والأوامر، والنواهي، والوعد والوعيد، والنبوات ،وأخبار الأمم السابقة.

تلاحظ في سياقه قصر الآيات تارةً وطولها تارةً أخرى ومراعاة الفواصل ،والسجع والإيقاع المنتظم ،والإيجاز، والإطناب ،والمساواة.

قال الشيخ مناع القطان: (وقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأة لغتهم ،حتى شبت وترعرعت، وأصبحت في عنفوان شبابها عملاقاً معطاء، واستظهروا شعرها ونثرها، وحكمها وأمثالها، وطاوعهم البيان في أساليب ساحرة، حقيقيةً ومجازاً، إيجازاً وإطناباً، حديثاً ومقالاً، وكلّما ارتفعت اللغة وتسامت، وقفت على أعتاب لغة القرآن في إعجازه اللغوي كَسِيرة صاغرة، تنحني أمام أسلوبه إجلالاً وخشية، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ، ازدهرت فيها اللغة إلا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني اعترافاً بسموه، وإدراكاً لأسراره، ولا عجب "فتلك سُنة الله في آياته التي يصنعها بيديه، لا يزيدك العلم بها والوقوف على أسرارها إلا إذعاناً لعظمتها، وثقةً بالعجز عنها،

ولا كذلك صناعات الخلق، فإن فضل العلم بها يمكنك منها ويفتح لك الطريق للتدبر والتأمل). (١)

ونبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بنيت على هذه المعجزة ،وإن كان قد أُيِّد بعد ذلك بمعجزات كثيرة، إلا أنّ تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة، وأحوال خاصة، وعلى أشخاص خاصة، ونقل بعضها نقلاً متواتراً يقع به العلم وجوداً، وبعضها مما نقل نقلاً خاصاً ،إلا انّه حكى بمشهدٍ من الجمع العظيم ،وأنّهم شاهدوه فلو كان الأمر على خلاف ما حكى لأنكروه أو لأنكره بعضهم فحلّ محل المعنى الأول وإن لم يتواتر أصل النقل فيه وبعضها مما نقل من جهة الآحاد وكان وقوعه بين يدي الآحاد فأمّا دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمّت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين ،ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍ واحد، وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وجه دلالته فيغني ذلك عن نظر مجدد في عجز أهل هذا العصر ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة لأنهم خصوا بالتحدي دون غيرهم.

المطلب الأول

تعريف الإعجاز وبعض أنواعه

أولاً: تعريفه وبعض أنواعه:

الإعجاز في اللغة يدلّ على الضعف وعدم القدرة، قال ابن فارس: (العين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء والأول عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ أي ضعيف ، ويقال: أعجزَني فلانٌ إذا عَجِزت

---

(١) مباحث في علوم القرآن ـ (٢٧٢)

عن طلبه وإدراكه، والأصل الثاني العَجْزُ: مؤخر الشيء والجمع أعجاز، وأعجازُ الأمورِ: أواخرها(١).

والمقصود بإعجاز القرآن الكريم هو إثبات القرآن عَجْز الخَلْق عن الإتيان بما تحداهم به.

وقد اعتنى العلماء في كل عصر ببيان أوجه إعجاز القرآن التي اكتشفتها وسائلهم ووسائل عصرهم، وكان لعصرنا نصيب وافر من ذلك؛ بما تراكم لديه من تراث سبقه، إضافة إلى ما يزخر به العصر الحالي من وسائل البحث التجريبي، التي كشفت أوجهاً جديدة لإعجاز القرآن لم تكتشف من قبل، ويبقى القرآن بعد ذلك أوسعَ وأشمل من أن يحاط به في عصر من العصور.

ومن أوجه الإعجاز التي سجلها السابقون والمعاصرون ما يلي:

* الإعجاز اللُّغوي، ومنه: الإعجاز البلاغي، والإعجاز البياني، والإعجاز النظمي.
* الإعجاز الإخباري، ومنه الإعجاز الغيبي.
* الإعجاز التشريعي.
* الإعجاز التربوي، وقد يعبر عنه بالإعجاز النفسي.
* الإعجاز العددي.
*الإعجاز التأثيري، وقد يعبر عنه بالإعجاز الفني.
* الإعجاز العلمي، ومنه: الإعجاز الطبي، والبيولوجي، والجيولوجي، والفلكي، وغيرها.
* الإعجاز التاريخي، وقد يعبر عنه بالإعجاز الإخباري.
* الإعجاز الاقتصادي.
* الإعجاز التهذيبي أو الإصلاحي. (١)

---

(١) مقاييس اللغة، ص ٧٣٨

والمسلم عربياً وغير عربي يسلّم بإعجاز القرآن تصديقاً لقوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٢).وليس القرآن معجزاً بلغته فقط ،وإن كان في قمة الإعجاز اللغوي لأهل العربية في كل العصور مسلمهم وغير مسلمهم على السواء، ولكنه معجزٌ للناطقين بكل اللغات، لأنّه معجز بموضوعه معجز بمعانيه معجز بهيمنته على ما سبقه من الكتب وكلها غير عربي يصدقها ويخالفها فيصدق هو. (٣)

ويمكن أن تقسم الأقوال إلى ما يلي (٤):

القول الأول: ذهب إليه طائفة من المعتزلة ومن غيرهم، حتى من المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة العقلية إلى القول بالصرفة؛ يعني إنّ الله صرف البشر عن معارضة هذا القرآن، وإلا فإنّ العرب قادرون على المعارضة.

وهذا القول يرده النقل من القرآن، والعقل.

القول الثاني: من قال إنّه معجز بألفاظه فقط.

القول الثالث: من قال إنّ الإعجاز في المعاني فقط.

ولا شك أنّ في القولين قصور لأنّ القرآن معجز بألفاظه، وبمعانيه.

القول الرابع: من قال إنّ القرآن معجز في نظمه، ومعنى النظم الألفاظ المتركبة والمعاني التي دلّت عليها الألفاظ وما بينها من الروابط؛ وهذا مردود لأن القرآن يخالف النظم في كثيرٍ من الأمور.

القول الخامس: من قال في إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه.

---

(١) انظر إعجاز القرآن لمحمد بن الطيب الباقلاني / ت: السيد أحمد صقر، دلائل الإعجاز للجرجاني / ت: د. محمد

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٣) رسالة إلى نصارى مصر - (٣/١)

(٤) إعجاز القرآن لصالح آل الشيخ (١٦/١)

حينما خوطبوا بكلام مشتمل على أشياء كثيرة، وكان التحدي واقعاً أن يأتُوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة أو بعشر سورٍ مثله مفتريات كما زعموا، وهذا يؤول إلى ما تميزت به العرب، وهو مسألة البلاغة وما تميزوا به من رفعة الكلام و فصاحته وبلاغته، والعرب لم تكن متقدمة عارفة بالأمور الطبية ،ولا بالأمور الفلسفية ،ولا بالأمور العقدية ولا بالغيبيات، وليس عندهم معرفة بالتواريخ على تفاصيلها ونحو ذلك، حتى يقال إنّ الإعجاز وقع من هذه الجهة؛ لكنهم خوطبوا بكلام من جنس ما يتكلمون به ، يعني من جهة الألفاظ والحروف ؛ لكنّهم عجزوا عن الإتيان بمثله.

القول الأخير إنّ القرآن معجز لأنه كلام الله جلّ وعلا، وكلام الله جلّ وعلا لا يمكن أن يشبه كلام البشر.

مع أنّ القرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سُنن كلامهم. ألفاظاً وحروفاً، تركيباً وأسلوباً، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عباراته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الاسمية والفعلية، وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى، وهلمّ جرًّا، ولكن القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر. (١)

إنّ وجوه الإعجاز: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارجٌ عن المعهود من نظام جميع كلامه، ومباين للمألوف من ترتيب أحقابهم، وله أسلوب يختصّ به ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أنّ الطّرق التي يتقيّد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثمّ إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفّى، ثمّ إلى أصناف الكلام المعدّل

---

(١) مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧١.

المسجوع، ثم إلى معدّلٍ موزون غير مسجّع، ثمّ إلى ما يرسل إرسالاً فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام للمعاني المعترضة على وجه البديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمد ويتصنع له، فقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين بهذه الطرق، فليس من باب السجع، وليس من قبيل الشعر، وتبين بخروجه عن أصناف كلامه، أساليب خطابهم أنه خارج عن العادة. وإنّه مُعجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه. .

وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحِكَم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول ، وعلى هذا القدر، وإنّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف، والتكلف والتعسف، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله، متناسباً في الفصاحة قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (١) وقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ (□).

ثانياً: أوجه الإعجاز التي نظمها الباقلاني وشرحها:

الحمد لله الذي علمنا   قناعة والزهد في عيش الدنا
وبعد فالوجوه في الإعجاز   دونكها في النظم بالإيجاز
إخبار الأمي وبالغيوب   قد خصّه مثبت القلوب

---

(١) سورة الزمر الآية: ٢٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٢ ـ مباحث في علوم القرآن – (٢٧٦/١)

إعجاب تأليف ونظم مبدع　　قد انتهى بلاغة إذ يسمع
قد فاق نظم الجن ثم الإنس　　صبح بذكره وحين تمسي
تخير الألفاظ للمبتكر　　أعسر من تركيبها المبتكر
شموله لأوجه الخطاب　　تبا لمن طعن في الكتاب
تاسعها معرفة الحروف　　ما الفهم إلا منحة الرؤف
سهل لفظه لنا ويسره　　تمت بذا الوجوه أعني العشرة
وتم ما ذكره الإعجاز　　خاب الأولى كأنهم أعجاز

شرح المنظومة:

* أولاً: إنّ هذا القرآن أخبر به رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (١)ولا يزن الشعر، قال تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾[٢]

* **ثانياً: اختصاصه بالإخبار عن المغيبات وهي ثلاثة أقسام:**

(أ) الغيوب الماضية.

(ب) الغيوب الحاضرة(زمن النبوة).

(ج) الغيوب المستقبلة.

* ثالثاً: التأليف العجيب المتناسق الأجزاء.

* رابعاً: النظم المتفرد، فلا هو شعر، ولا هو نثر كنثر البشر. ولكن فيه حلاوة الجرس والتنغيم ما يفوق الشعر، دون أن يتقيد بقيود الشعر الكثيرة التي تتحكم في المعنى في كثير من الأحيان، وفيه ما يشبه القوافي ولكنها ليست رتيبة ولا محددة كقوافي

---

(١) سورة العنكبوت: الآية: ٤٨ .

(٢) سورة يس الآية: ٦٩ .

الشعر ولا قوافي السجع المألوف، بذلك لا تمله الأذن، بل يقبل الإنسان دائماً على قراءة القرآن وسماعه بشغف متجدد. (١)

* خامساً: قد وصل القمة في البلاغة يبقى السامع له مندهشاً لا يملك إلا التسليم

* سادساً: فاق نظم الجن والأنس لأن ما يروى عن العرب من مساجلات، وهواتف لجت في أشعارهم، تبين أن الأنس أفضل منه فيها وقد ثبت عجز الإنس قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾(٢) .

* سابعاً: تخيل الألفاظ ذات الدلالات الجميلة المؤدية للمعنى المبتكر من غير زيادة ولا نقصان للمعنى، أصعب بكثير من تركيب جمل متنوعه لكن معانيها متكررة.

* ثامناً: شمول القرآن لأوجه الخطاب، فتارة غيبة، وأخرى حضور، كل ذلك في التفاتات جميلة يراد منها تسجيل الكفر على الكافرين أو الطاعة للطائعين.

* تاسعاً: الحروف المقطعة في أوائل السور؛ التي هي من المتشابهات التي حار في معرفتها المسلمون ناهيك عن الكافرين حتى قال فيها بعض المحققين:

فواتح السور طرا أسلم   ما قيل فيهن الإله أعلم

* عاشراً: تيسر لفظ القرآن وتيسيره، وهذا أمر ظاهر بل نجد بعض من لا يعرف كلمة من اللغة العربية متقناً للقرآن وذلك مصادقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ﴾ والذي جاء بعده ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾(٣).

المطلب الثاني

أهمية الإعجاز اللغوي

---

(١) ركائز الإيمان - (٣٥٣/١).
(٢) سورة الإسراء الآية: ٨٨.
(٣) سورة القمر: الآية:١٧ .

الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم أجمع عليه العلماء، وهو الذي تحدّى الله به العرب الذين كانوا قد بلغوا الذروة في البيان شعراً، ونثراً، عند نزول القرآن الكريم وقد كانوا يدركون عجزهم ويتذوقون بلاغته بذوقهم وسليقتهم، والإعجاز اللغوي موجود في كل سور القرآن الكريم الطوال والقصار، خلافاً للأنواع الأخرى فالإعجاز فيها جزئي لا كلي كالإعجاز الغيبي، أو التشريعي، أو العلمي، وهو أوسع أنواع الإعجاز ولسعته لم يستطع العلماء الإحاطة به، وإنّما تركوا بابه مفتوحاً لحكم الذوق والقبول عند الناس (١) وعلى كثرة ما كتبه العلماء عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته أقروا دائماً بعدم القدرة على إيفاء هذه البلاغة حقها ، أو الوقوف التام على أسرارها قال الخطابي: ((قد أكثر الناس الكلام في إعجاز القرآن الكريم قديماً، وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول وما وجدناهم بعد صدروا عن ريّ، وذلك لتعذّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ،ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته(٢).

كما تبرز جوانب الإعجاز اللغوي في أوجه كثيرة ،من ذلك أنّه جاء بأفصح الألفاظ وفي أحسن النظم تأليفاً بصورة غير معهودة شعراً ولا نثراً، متضمناً لأصحّ وأدق المعاني، وكلام البشر مهما علا صاحبه في علم اللغة والبيان لا تجد الفصاحة والبلاغة إلا في اليسير منه، وإذا تأملت القرآن الكريم ،وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعزب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه ،أمّا معانيه فكل ذي لبٍّ يشهد له بالتقدم في أبوابه ،والرقي في أعلى درجاته(٣).

والإعجاز هو الوجه الثاني المهم للكتاب العزيز، والوجه الأول الهداية التي هي أقوم، والثاني البيان والبرهان على صدق الرسالة، قال تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ

---

(١) البرهان في علوم القرآن / الزركشي ج، ص١١٠

(٢) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص ٢١

(٣) المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين، ج ٢ ص ٣١٠.

﴿فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[2]. فهو العلم الذي من خلاله تظهر براهين الرسالة، وينفي عن كتاب الله الريب، ويرتقي بالمسلم في مدارج اليقين، ويحتار فكره، ويقف عقله، ويرتد إليه بصره وهو حسير، وهو يتأمل في موافقة معانيه للعقول، وكيف كشفت علومه الغيوب، وحوى علوماً كثيرة، وأسراراً دقيقة، تعجز عن إدراكها الفهوم، وكيف سما في ألفاظه وأسلوبه، وتفنّن في روعة خطابه، وتناسب وتناسق في نظمه وترتيبه، وصدق بعضه بعضاً، بما ليس هو بمعتادٍ للبشر، وهو خير معين لمن يرد أن يفسر القرآن تفسيراً صحيحاً، فعلى المفسِّر أن لا يغفل جوانب الإعجاز عموماً واللغوي خصوصاً، وهو يفسّر ويدرس التفّسير لاحتوائه على حكمٍ وأسرارٍ بديعة موجودة في كل سوره وآياته، قال الزركشي رحمه الله: (وأعلم أنّ معرفة هذه الصناعة بأوضاعها ،هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى)[3].

ومن هنا تظهر أهمية الإعجاز القرآني على وجه العموم، والإعجاز اللغوي على وجه الخصوص، وتبرز هذه الأهمية في النقاط الآتية:

[١] الإعجاز اللغوي يظهر المعاني الدقيقة، والحكم العظيمة لكتاب الله تعالى، إذ إن الإعجاز يظهر دقائق المعاني، وروعة المباني، وهو الذي يظهر المراد حقيقة من كلام الله عز وجل، فهو من أجلّ العلوم التي يحتاجها المفسرّ للقرآن الكريم، ويستنبط أحكامه استنباطاً صحيحاً موفّقاً، والذين برعوا في علوم اللغة وأسرارها، هم الذين برعوا في فهم أساليب القرآن ودلالتها، ومن لم يجعل لغة العرب مرجعه ومفزعه في التفسير، كان

---

(١) سورة البقرة: الآية : ١٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث ٤٩٨١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٣٢٩.

من أهل تحريفه وتبديله، وكما أنّ الارتقاء في هذا العلم يكون بحسب تمكّن المفسّر من لغة القرآن الكريم، كما قال أبوحيان الأندلسى :(فاعلم أنّه لا يرتقى من علم التفسير ذروته ، ولا يمتطى من صهوته، إلاّ من كان متبحراً في علم اللسان مترقياً منه إلى رتبة الإحسان) (١) لذلك يكتسب الإعجاز اللغوي في القرآن أهمية قصوى لأنّه خادم للقرآن الكريم في هذا الجانب المهم.

[٢] قيام الحجة القاطعة على أنّ القرآن هو كلام الله تعالى.

يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى: ((أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)) يقول: ((وهذا كلام مختصرٌ جامع فيه من الآيات البينات والدلالات الباهرات شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم به بمجرده وهو أميّ من أكبر الآيات الدالة على صدقه))(٢)

[٣] الوقوف على مكانة اللغة وأسرارها:

إنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب وطرائقهم في التعبير والبيان، ولن يفهمه أو يتذوق أسراره، أو يستشعر جماله وبلاغته الرفيعة، أو يقف على إعجازه وتميزه عن كلام البشر من كان ضعيف الحظّ من العربية غير متضلّعٌ منها قال ابن قتيبة: ((إنّما يعرف فضل القرآن من كثُر نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانهم في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات.))(٣)

والعربية من بين سائر اللغات هي أشدها تمكناً وأشرفها تصرفاً وأعدلها، ولذلك جعلت حلية لنظم القرآن الكريم ،وعلّق بها الإعجاز وصارت دلالة على النبوّة (٤)

[٣] إدراك المسلم لعظمة القرآن:

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج١ص١٣

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٣٤

(٣) تأويل مشكل القرآن: ١٢.

(٤) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص ١١٨

إنّ الوقوف على وجوه الإعجاز اللغوي؛ يجعل المسلم يدرك عظمة كتاب الله تعالى المجيد، ويزداد إيمانه ويقينه بمنزلته، وأنّه في منزلة من السمو والكمال لا يمكن لكلام أن يقرب إلى رتبته، وتبرز له أهمية تعلمه ودقة التأمل والنظر في أحكامه، وهديه، وقصصه، وأمثاله، بما يدفعه لكثرة قراءته.

[٥] شغل العقول بما ينفعها:

الناس اليوم صرفوا وانصرفوا عن القرآن الكريم بصوارف كثيرة؛ فالحديث عن الإعجاز فيه تذكير بعظمة القرآن الكريم، وعظمة دينهم، وكل أمر يدفع الأمة نحو القرآن والإقبال على تعلمه وتعليمه مطلوب شرعاً، وإذا كان الانشغال بتعلمه والبحث عن جوانبه أهم بكثير ممّا انشغل الناس به، قال الباقلاني: (فهو أحق بكثير ممّا صنفوا فيه من القول في الخبر ودقيق الكلام في الأعراض، وكثير من بديع الإعراب، وقانون النحو، فالحاجة إلى هذا أمسّ، والانشغال به أوجب) (١)

وهكذا تكون أهمّ وجوه الإعجاز التي درسها العلماء، والمفسرون، والأدباء تدور حول بلاغة القرآن، ونظمه، وسمو معانيه، ودقتها وشمولها.

المطلب الثالث

من أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

أولاً: من ناحية مفردات القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى اللفظة القرآنية؛ نجد أنها تبرز فيها جوانب كثيرة من جوانب الإعجاز ومن ذلك:

---

(١) إعجاز القرآن الباقلاني ص١١٨

أ/ ألفاظ القرآن الكريم عذبه، وجزلة، ومنتقاة، يقول الإمام الراغب الأصفهاني: (فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكام في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم) (١)

ب/ إنّ ألفاظ القرآن الكريم دقيقة ومحكمة إحكاماً دقيقاً، ففي المواضع التي ذكرت فيها لا يوجد أفصح منها في بيانها، يقول الإمام ابن عطية: (كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أنْ يوجد أحسن منها لم يوجد) (٢)

فنجد لكل حرف دلالته البلاغية الدقيقة التي لا تؤديها حروف أخرى، ففي قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾ (٣)، فالحرف (على) لا ينبغي أن نفسرها بمعنى ((من)) وإنما هي تعبر عن حالة نفسية معينة، لا يمكن أن يعبر عنها إلا هذا الحرف في هذا الموضع، قال ابن عاشور: (وإنما عدى الآية بحرف (على) لتضمين اكتالوا معنى التحامل أي إلقاء المشقة على الغير، وظلمه ذلك أن شأن التاجر وخلقه، أن يتطلب الربح، وأنّه مظنّة السعة، ووجود المال بيده، وهو يستغل حاجة من يأتيه للسلعة) (٤).

ثانياً: من ناحية النظم والإلتآم بين آياته وسوره وكلمه:

وهذا باب واسع، ومن أي ناحية تأملت، وتدبرت فيه، أدركت عظمة هذا الكتاب المجيد، وإعجازه، سواء كان ذلك من ناحية التقديم والتأخير، أو الحذف ،والإضافة ،أو الإظهار والإضمار، أو الحصر والاختصاص ،ونحو ذلك ونذكر من ذلك:

التقديم والتأخير وما فيه من أسرار وإعجاز ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾ ٥، فإنّ الترتيب في الواقع يبدأ بالسرح والجمال واقع

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص ١٠.
(٢) المحرر الوجيز، إبن عطية، ج ١ ص ٥٢.
(٣) سورة المطففين الآيات ١-٢ .
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٥ ص١٢٠.
(٥) سورة النحل الآية : ٦ .

في الحالتين ((السرح والإراحة)) إلا أنّه قدَّم الإراحة ،لأنّ الجمال في حالة مجيئها من المرعى آخر النهار، وهي ممتلئة البطون، دارة الضروع ،أزهى وأكثر وقعاً في النفوس.

وكقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(١)، قدّم نفي الإسراف لأنّ الإسراف يكون في الإنفاق.

من ناحية دقة الفاصلة القرآنية: والفاصلة القرآنية ،هي اللفظ الذي ختمت به الآية القرآنية، فالفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآية بعضها مع بعض، وإنما جاءت الفاصلة في كتاب الله تعالى لغرض معنوي تقتضيه الحكمة مع ما يتصل بذلك من غرض لفظي، يتعلق بجمال اللفظ وبديع إيقاع صوتي في الأذن، وكلما تأمل الإنسان في فواصل القرآن ،وقف على دقائق الإعجاز، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾(٢) ، فقد ختمت الآية الأولى بـ ((يسمعون))، وختمت الثانية بـ((يبصرون)) فنجد سر ذلك لمن تأملها ،أنّ الآية الأولى عن القرون المهلكة من قبل هؤلاء، فهو حديث التاريخ وعبر التاريخ يسمع وتحدثت الآية الثانية عمّا يشاهدونه على هذه الأرض، وما يشاهدونه يبصرونه إبصاراً ولذا ختمت بـ (يبصرون).

ثالثاً : من حيث تعدّد أساليبه:

من أوجه إعجاز القرآن في أسلوبه أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ مختلفة، وبطرقٍ متعددة، بحيث لا يَمَلُّ منه سامعه، ولا يسأم قارئه، فالتعبير عن الأمر يأتي بصيغ متنوعة والتعبير عن النهي يأتي كذلك بوسائل عدة ،وكذلك التعبير عن الإباحة ، ومن أمثلة

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٦٧.

(٢) سورة السجدة الآيات : ٢٦ – ٢٧ .

ذلك: التعبير بصريح الأمر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (١)

الإخبار بأنّ الفعل مكتوب على المكلفين ،نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢)، الإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾(٣) .

١ـ الإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره ،نحو ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا ﴾(٤)

٢ـ الإخبار عن الفعل بأنَّه خير، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ ﴾ (٥) .

٣ـ ترتيب وصف شنيع على ترك الفعل ،نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(٦) .

وهكذا نجد التعبير القرآني يُعدد أساليبه في المعنى الواحد بألفاظ متعددة بين إنشاء، وإخبار وإظهار، وإضمار، وتكلم، وغيبه، وخطاب، وماضٍ، وحاضر، ومستقبل، واسم، وفعل، واستفهام، وامتنان، ووصف، ووعد، ووعيد، إلى غير ذلك من أساليبه.

رابعاً : إحكام سبك آياته ،وتناسق موضوعاته :

ولاشك أنَّ جودة السبك، وإحكام السرد، أمرٌ له أثرٌ كبير في المعنى، فالكلام إذا تناسقت مفرداته، وترابطت جمله ،كان المعنى واضحاً جلياً، وهذا المطلب عويص المسلك وصعب المرتقى، ولذلك فإنّ البشر مهما حاولوا تنسيق كلماتهم ،وترتيب جملهم ،إلا أنَّهم سيضطرون إلى استخدام وسائل مساعده لبيان مرادهم ،كأسماء الإشارة ، أو أدوات

---

(١) سورة النساء الآية : ٥٨.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٣.
(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٨.
(٤) سورة آل عمران الآية: ٩٧.
(٥) سورة البقرة الآية: ٢٢٠.
(٦) سورة المائدة الآية: ٤٤.

التنبيه، أو الإشارة في مقدمة الأبحاث إلى تقسيمها إلى أبواب ،وفصول ومباحث، وذلك كاعتذار مسبق للانتقال من معنى إلى معنى(١).

قال العلامة الزرقاني رحمه الله: (وقد يظن بعض الجهلة ،أن الوحدة البيانية في القرآن أمر هين لا يسمو إلى حد التنويه به، فضلاً عن أن يضمن في عداد ماهو مناطٌ بالإعجاز ولأجل الرد على هؤلاء نطلب منهم أن ينظروا نظرةً فاحصة في كلام البلغاء وحملة الأقلام، فإن لم يكن عندهم نظر ولا ذوق فليستمعوا الى حكم نقَّاد البيان عليهم بأنَّهم كثيرٌ ما يخطئون في تنظيم أغراضهم إذا قالوا بل يأتون بها شتيتاً مفككاً غير متماسك ولا متجاذب، هذا في كلام البشر أمّا كلام الله عز وجل فإنّه على تنوع أغراضه، وطول نفسه في سوره وآياته ينتقل من مقصد إلى مقصد غير مستعين بوسائل بل بطريقة قد يشعر بها القارئ ،وقد لا يشعر، ولا فرق في ذلك بين أطول سوره أو أقصر سورة منه، (٢).

المطلب الرابع

الوجوه والنظائر ودلالات الإعجاز

لما كان معرفة معاني ألفاظ القرآن، هي الخطوة الأولى في فهم القرآن الكريم، وحسن تدبره؛ تنوعت عناية ودراسة العلماء للفظة القرآنية في استخراج معانيها بين كتب تخصصت في دراسة المفردات عموماً، وأخرى اختصت بالغريب الغامض البعيد عن الفهم، وثالثة في الوجوه والنظائر.

ولّما نزل القرآن بلغة العرب التي تميزت بكثرة مفرداتها، وسعت فكرتها في التعبير عن المعاني المتعددة باللغة الواحدة، جاء القرآن الكريم بما أعجز العرب في جوانب البيان، ومن ذلك دقته وسعته في استعماله للفظة الواحدة للمعاني المتعددة، وقد

---

(١) خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، ص ٤٠.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢ ص٢٤٩، بتصرف

جعل بعض العلماء ذلك من إعجاز القرآن الكريم حيث تجد الكلمة الواحدة أحياناً تنصرف إلى عشرين وجهاً، أو أكثر، أو أقل، وهو علم من علوم القرآن المهمة لتعلقه بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فمن خلال معرفة هذا العلم تضبط مسائل الاعتقاد، وتصح آلة حسن الاستنباط في الأحكام الشرعية بصورة سليمة، لأن فقه الكتاب قائم على فقه كل لفظ ومعناه، خاصة إذا ورد بمعان متعددة؛ يعسر على الناظر إدراكها من النظرة الأولى، كما تظهر من خلاله سعة علوم الكتاب المجيد، ودقة إحكامه، وجمال نظمه، وتنوع أساليبه، وتوسع معانيه.

وأول من عرف الوجوه والنظائر ابن الجوزي ،حيث قال في تعريفها: (إعلم أنّ معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد ،وحركة واحدة، وأريد بها في كل موضع معنى للكلمة ،غير معناها في المكان الآخر، هذا ما يسمى بالوجوه أما النظائر فهي اسم للألفاظ وعلى هذا تكون الوجوه اسماً للمعاني)(١).

وهذا المصطلح يعني لنا في باب الدلالة وتطورها شيئاً كبيراً، وفى تفسير القرآن، وفهمه فهماً صحيحاً، ومن الأمثلة التي نستشهد بها لنؤكد ما ذكر سابقاً ما يلي:

المثال الأول: كلمة (الدين) هذه الكلمة وردة في القرآن الكريم على خمسة معان:

الأول: التوحيد والملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢)،

قال الدامغاني: (يقول إن التوحيد عند الله الإسلام ووافقه على التفسير والمثال الفيروز أبادي)(٣)،

الثاني: (الحساب) ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(٤)، يعني (بيوم الحساب)،

---

(١) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي، ج١، ص ٢١٥.

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩.

(٣) الأشباه والنظائر، الدامغاني، ص ١٧٨. و بصائر ذوي التمييز، الفيروز أبادي، ج٢، ص ٦١٧.

(٤) سورة المطففين الآية : ١١.

الثالث: (الحكم والسياسة)، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ (١)

الرابع: (الدين بعينه) ومنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٢)،

الخامس: (الدين بمعنى الملة المستقيمة) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(٣)، يعني الملة المستقيمة.

والمثال الثاني: كلمة الأمّة، فهي لفظ كثير الدلالات المنسجمة مع مختلف السياقات وذكر الدامغاني لها تسعة معان ،وذكر الفيروز أبادي عشرة ،وملخصها ما يلي: (معنى الصف المصفوف، السنين الخالية، المدة من الزمن، الدين والملة، الأمم السالفة، القوم بلا عدد، القوم المعدود، الزمان الطويل، الكفار خاصة، أهل الإسلام، الإمام المؤتم به)(٤) فمن يعرف من اللفظ الجماعة من الناس، تجمعهم بقعة من الأرض مشتركة وجنس واحد ومبادئ جامعة، ولسان واصل بينهم، لا يفهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾.(٥). على وجهها؛ حتى يعلم دلالتها على معنى الإمام المقتدى به، والذي يعدل في أثره ،وبركته على من حوله جيلاً من الناس، ليسوا في منزلته، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾(٦)،فقوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ لا يمكن أن يطلق لفظ (الأمة) على معنى الجيل من الناس مطلقاً، بل لابد من حمله على معنى الزمن،وعلى وفق ذلك جاءت عبارات المفسرين: قال الشوكاني: (ومعنى بعد أمّة أي بعد حين ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾(٧)أي إلى وقت)(١) وقال الزمخشري:(بعد أمة، أي بعد مدة طويلة، وذلك أنه

---

(١) سورة يوسف الآية : ٧٦.
(٢) سورة الفتح الآية : ٢٨ .
(٣) سورة البينة الآية : ٥.
(٤) بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص ٨٠.
(٥) سورة النحل الآية :١٢٠.
(٦) سورة يوسف الآية : ٤٥.
(٧) سورة هود الآية : ٨.

حين أستفتي الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها، تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ،ورؤيا صاحبه ،وطلب إليه أن يذكره عند الملك)(٢).

وهكذا الوجوه والنظائر، تشترك في ذات اللفظ ،وتفسر على حسب سياقها، لا على حسب لفظها، وهذا مما يدل على سعة هذه اللغة ودقتها، وروعتها، وأسرارها، ولاشك أنَ الوجوه والنظائر تكشف وجهاً من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

المطلب الخامس

أسلوب عرض القرآن

للقرآن خاصية إحياء المشهد، حتى لو كان الإنسان يشاهده لأول مرة إن كان من مألوفات الحس، أو يراه مجسداً إن كان من المشاهد المتخيلة.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في القرآن من المشاهد الكونية كالشمس، والقمر،والنجوم، والليل والنهار، والشجر، والأنهار، فهي مشاهد لأول مرة فينفعل بها وجدانه، وتهتز لها مشاعره، فيلتفت إلى القدرة المعجزة في خلقها على هذه الصورة، فيتصل قلبه بالخالق سبحانه ويسلم له ويؤمن بوحدانيته ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿
وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ
مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا
يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى
لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ
﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٣).

ولك أن تتصور كيفية إنزال المطر وما للريح في ذلك من أثر بإذن الله وأنت تقرأ قوله

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج٣، ص ٤٥.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص ٢٩١.

(٣) سورة يس الآيات : ٣٣ – ٤٠.

عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ ﴾(١) .

ومن نماذجه أيضاً القصص القرآني ومشاهد القيامة، وهي ليست حاضرة أمام الإنسان لكنه يتتبعها بخياله ،لا بسمعه وبصره، ولكن القرآن يعرض القصة حية كأنما يشاهدها الإنسان أمامه في هذه اللحظة، فينفعل بأحداثها وعبرها، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(٢) ، ويعرض مشاهد القيامة شاخصة متحركة كأنها حاضرة أمام الإنسان. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾(٣)،بل يحكي لنا ما حصل من تكذيب الكفار للرسل عليهم السلام ،واستهزائهم بالمؤمنين ،وما سيحصل في الآخرة ،قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾(٤)،ويتميز القرآن بالتنويع في طريقة العرض، بحيث لا يتكرر مشهدان في كل تفاصيلها أبداً على كثرة ما يعرض في القرآن من المشاهد المتشابهة، فهي تتشابه ولكنها لا تتماثل أبداً، لذلك تبدو في كل مرة كأنها جديدة! وإن مشاهد القيامة والمشاهد الكونية لهي من أكثر الموضوعات تكراراً في القرآن، ومع ذلك لا يوجد مشهد واحد مكرر بجميع تفصيلاته

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٧.
(٢) سورة ص الآيات : ٤١- ٤٤.
(٣) سورة الحج الآيات : ١-٢ .
(٤) سورة المطففين الآيات ٢٩ ـ ٣٤.

مرتين بل لابد من التنويع في العرض ولو بتغيير لفظة واحدة! وأحياناً يكون التنويع بتغيير حرف واحد يغير المعنى! (١)

وأحياناً يكون هذا العرض في سورة بكاملها ،لا تعالج إلاّ هذه القضية ،أو توليها بالغ الأهمية ،كما في قصة أصحاب الفيل التي ذكرها بإسلوب مختصر وكأنّنا نشاهد ما حصل لابرهة وجيشه في فناء الكعبة! قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ (١) أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ (٢) وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ (٤) فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ (٢).

ولو تأملت تقسيم الناس بعد ذهولهم، وخوفهم من أهوال هذا اليوم العظيم في سورة القارعة لتوصلت إلى أن هذا الأسلوب يعجز عنه البشر، قال تعالى﴿ٱلۡقَارِعَةُ (١) مَا ٱلۡقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ (٣) يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ (٤) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ (٧) وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ (٩) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ (١٠) نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ (٣).

ولاحظ يرعاك الله التنبيه على هذه الليلة العظيمة التي لا تأتي في العام إلا مرة واحدة في سورة خاصة بها تدلك على فضلها ،وعظم شأنّها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ (١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ (٢) لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ (٣) تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ (٤) سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (٤).

مع أن هذا ليس خاصاً بقصار المفصل، بل حتى في السور الأخرى مثل سورة يوسف والواقعة والممتحنة وغيرها.

---

(١) ركائز الأيمان ـ (٣٥٤/١) بتصرف
(٢) سورة الفيل الآيات ١ ـ ٥.
(٣) سورة القارعة الآيات ١ ـ١١.
(٤) سورة القدر الآيات ١ ـ ٥.

المطلب السادس
نماذج من بلاغة القرآن

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] وقد آثرتُ أن أنقل هنا كلام الرازي رحمه الله بنصه لأنّه موفٍ بالغرض فقال:(اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع للمعاني البليغة إلى أعلى الدرجات، وذلك لأنّ العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة، كقولهم: قتل البعض إحياء للجميع، وقول آخرين: أكثروا القتل ليقل القتل، وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم: القتل أنفى للقتل، ثم إنّ لفظ القرآن أفصح من هذا، وبيان التفاوت من وجوه: أحدهما: أن قوله: ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ حصر من الكل، لأن قوله:(ولكم) لا يدخل في هذا الباب، إذ لابد في الجميع من تقدير ذلك، لأن قول القائل: قتل البعض إحياء للجميع لابد فيه من تقدير مثله، وكذلك في قولهم: القتل أنفى للقتل فإذا تأملت علمت أنّ قوله: ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أشد اختصاراً من قولهم: القتل أنفى للقتل وثانيها: أن قولهم: القتل أنفى للقتل ظاهره يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه ،وهو محال، وقوله: ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ ليس كذلك، لأن المذكور هو نوع القتل وهو القصاص، ثم ما جعله سبباً لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرة بل جعله سبباً لنوع من أنواع الحياة وثالثها: أن قولهم القتل أنفى للقتل، فيه

---

[1] سورة البقرة الآية : ١٧٩.

تكرار للفظ القتل وليس قوله:﴿ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾كذلك ورابعها: ان قول القائل: القتل أنفى للقتل. لا يفيد إلا الردع عن القتل،وقوله:﴿ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ الردع عن القتل ،وعن الجرح وغيرها،فهو أجمع للفوائد وخامسها: أن نفي القتل مطلوب تبعاً من حيث إنه يتضمن حصول الحياة، وأما الآية فإنّها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي، فكان هذا أولى وسادسها: أن القتل ظلماً قتل، مع أنّه لا يكون نافياً للقتل بل هو سبب لزيادة القتل، إنما النافي لوقوع القتل، هو القتل المخصوص وهو القصاص، فظاهر قولهم باطل، أمّا الآية فهي صحيحة ظاهراً ،وتقديراً، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب). (١)

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾(٢).

قال بعض العلماء هذه الآية من عجائب القرآن لأنّها بلفظة (يا) نادت، (أيها) نبّهت، (النمل) عيّنت، (ادخلوا) أمرت، (مساكنكم) نصّت، (لا يحطمنكم) حذّرت، (سليمان) خصّت، (وجنوده) عمّت، (وهم لا يشعرون) عذرت(٣). ومن عجائب الآية أيضاً علم النملة أنّ المار هو(سليمان) عليه السلام هذا ما وضحه ابن عاشور في تفسيره بقوله: (وتسمية سليمان في حكاية كلام النملة يجوز أن تكون حكاية بالمعنى، وإنما دلت دلالة النملة على الحذر من حطم ذلك من المحاذاة لواديها ،فلمّا حكيت دلالتها ،حكيت بالمعنى ،لا باللفظ ،ويجوز أن يكون قد خلق الله علماً في النملة علمت به أن المار بها يدعى سليمان على سبيل المعجزة وخرق العادة)(٤).

---

(١) تفسير الفخر الرازي ـ (٧٥٣/١).
(٢) سورة النمل الآية : ١٨.
(٣) زاد المسير ـ (١٦٢/٦)
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، ج١٠، ص ٢٦١.

وبعد أن تحدثنا عن الفصاحة، والبلاغة التي تضمنتها الآية الكريمة المباركة، سوف أشير إلى بعض عجائب هذا الخلق العجيب، الذي يدل على قدرة الخالق عز وجل، وما وهبه لمملكة النمل من الهداية؛ ليعيش وفق نظام وترتيب عجيب، ومن عجائبه ما له من استراتيجيات هداه الله تعالى للعمل في ضوئها؛ وهي التي أكسبته الدقة والنظام وتحمّل المسؤولية كاملة والتي من أهمها ما يلي:

أولاً: (النمل لا ينسحب أو يستسلم أبداً) ومن ذلك أن النمل إذا احتجز في مكان معين أو حاولت إيقافه سيبحث عن طريق آخر للوصول إلى هدفه المنشود.

ثانياً: (النمل يفكر في الشتاء طول الصيف وفي الصيف طول الشتاء) أي على مدار العام، يسعى النمل لتأمين المستقبل له ولذريته، ولا شك أن هذا كفاح مستمر، يدل على علو الهمة والتفكير في المستقبل الزاهر بهذه الجدية التي لا تعرف اليأس والقنوط.

ثالثاً: (النمل يلتمس العذر للآخرين في تصرفاتهم) ،ويدل على ذلك قصة النمل مع سليمان عليه السلام وكيف أنّها التمست العذر له بقولها وهم لا يشعرون، وهذا مما يدل على التسامح والخلق النبيل لمملكة النمل.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.(١)

حكى الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أستغفر الله لذنبي كله قبلت إنساناً بغير حله
مثل الغزال ناعماً في دله فانتصف الليل ولم أصله

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى:﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.(٢)

---

(١) سورة القصص الآية : ٧.

(٢) تفسير القرطبي (٢٥٢/١٣)

فالخبران هما: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ وقوله:﴿ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ ﴾ لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه ، والأمران هما:(أرضعيه)و(ألقيه)،والنهيان:(ولا تخافي)و(لا تحزني) ، والبشارتان: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.

وقد جاء في تفسير النهر الماد: (والظاهر أن هذا الإيحاء هو بعد الولادة فيكون (ثم) جملة محذوفة أي: وضعت أمه موسى في زمن الذبح، وخافت عليه و(أن) تفسيرية أو مصدرية، فإذا خفت عليه من جواسيس فرعون ،ونقبائه الذين يقتلون الأولاد، فألقيه في اليم، وهو نيل مصر ولا تخافي من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيقتل ولا تحزني لمفارقتك إياه ،وإنّا رادوه إليك، وعداً صادقاً لتسكين قلبها وتبشيرها بحياته، وجعله رسولاً،واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعراً فقالت: أبعد قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى، فصاحة؟ وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين)(١) .

النموذج الرابع: قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(٢) .

في هذه الآية الكريمة ثلاثة تشبيهات، أما الأول فتحليله:

المشبه: الهيئة المنتزعة من زعم المشركين أن الأصنام شركاء لله في التصرف.

المشبه به: هيئة الناس لهم عبيد، صاروا شركاء في أرزاق ساداتهم.

أداة التشبيه: هو تشبيه تمثيلي، ليس له أداة.

وجه الشبه: إنكار الهيئة المشبه بها؛ المؤدي إلى بطلان الهيئة المشبه بها.

وهذا التشبيه وإن كان منصرفاً لمجموع المركب من الهيئتين، قد بلغ غاية كمال نظائره، إذ هو قابل للتفريق في أجزاء ذلك المركب لتشبيه مالك الخلق كلهم بالذين

---

(١) النهر الماد، لأبي حيان الأندلسي، ج٤، ص ٤٠٤.
(٢) سورة الروم الآية :٢٨.

يملكون عبيداً، وتشبيه الأصنام التي هي مخلوقة لله تعالى بمماليك الناس، وتشبيه تشريك الأصنام في التصرف مع الخالق في ملكه بتشريك العبيد في التصرف في أرزاق سادتهم، وتشبيه زعمهم عدول الله عن بعض ما يريده في الخلق ،لأجل تلك الأصنام وشفاعتها، بحذر أصحاب الأرزاق من التصرف في حظوظ عبيدهم الشركاء، تصرفاً يأبونه. (١)

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: خوف أرباب العبيد من مشاركة عبيدهم لهم في أموالهم على وجه السواء في التصرف.

المشبه به: الخوف من الشركاء الأحرار في التصرف في الأموال.

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: الخوف المانع من الإنفراد في التصرف تصرفاً يغضب منه الشريك.

أما التشبيه الثالث فتحليله:

المشبه: تفصيل الآيات بإقامة الحجج الدامغة.

المشبه به: التفصيل المقنع الوارد في الآية الذي يقطع كل حجة.

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: الوضوح والبيان اللذان يقطعان كل حجة.

أثر هذا التشبيه: التشبيه الأول في الآية تشبيه مؤكد مجمل، لم تذكر له أداة ولا وجه، ليتأمل القارئ كل وجه يثبت نقص كل ما عبد من دون الله تعالى ،وهو يبرز المعنى الباطل المتخيل في صورة المحسوس الذي يدركه المخاطبون ويقرون به في قرارة أنفسهم من بطلان أن يشارك المملوك سيده في ماله مشاركة تامة على وجه المساواة، وأكد ذلك بتخصيص الخطاب لأهل العقل والإدراك، ثم هو يبرز الهيئة المشبه بها في صورة منكرة

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ج١١، ص ٦٧.

لقبحها في عرف المخاطبين ولاستنكار العقول السليمة لها، ويؤكد هذا القبح دخول الاستفهام الاستنكاري عليها.

أما التشبيه الثاني في الآية، فهو مرسل مجمل، ذكرت أداته ولم يذكر وجهه، وهو داخل في التشبيه الأول متم لمعناه قال الإمام الرازي: (وأمّا قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لأن المملوك هل له عندكم حرمة كحرمة الأحرار؟ وإذا لم يكن للمملوك مع مساواته إياكم في الحقيقة والصفة حرمة، فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه)(١)

وأما التشبيه الثالث: فهو مرسل مجمل ذكرت أداته ولم يذكر وجهه، وهو يؤكد أن حجج الله تعالى وما يذكره من بينات واضحات، ودلائل مقنعات، مفصلة غاية التفصيل وموضحة غاية الإيضاح، يذعن لها ويسلم بها كل من له فكر صحيح وعقل صريح قال الإمام البقاعي: (ولمّا كان هذا المثال في الذروة من الكمال، كان السامع جديراً بأن يقول: جل الله! ما أعلى شأن هذا البيان! هل يبين كل شيء هكذا؟ فقال: (كذلك) أي: مثل هذا البيان العالي{نفصل} أي: نبين، لأن الفصل هو التمييز وهو البيان، وذلك على وجه عظيم بما أشار إليه التضعيف مع التجديد والاستمرار والآيات أي: الدلالات الواضحات)(٢).

وقال الألوسي: (أي نفصل الآيات ونبينها ونوضحها فإنّ التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس، وإبراز لأوابد المدركات على هيئة المحسوس ،فيكون في غاية الإيضاح والبيان)(٣)

---

(١) تفسير الرازي، ج١٢، ص ٢٣٣.
(٢) نظم الدرر، البقاعي، ج٦، ص ٣٠٦.
(٣) روح المعاني، الألوسي، ج١٥، ص ٣٩٤.

الخاتمة:

وفي آخر المطاف ،وبعد أن قضيت مدة مع كتاب الله عز وجل وتدبر آياته ،والنظر في كيف كان القرآن سلاحاً قوياً في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل زمانه ،وكيف استمرت هذه المعجزة الخالدة ،والخطاب القرآني الجميل يأسر السامعين ،ويؤثر فيهم تأثيراً بالغاً، لا يركز على العاطفة وحدها، بل يضم إليها الإقناع العقلي المدعم بالحجج الدامغة الواضحة ،التي لا تدع للمخاطب مفراً عن الإذعان والتسليم، كل ذلك في أسلوب بلاغي جميل مضمن الشفقة والرحمة للبشرية جمعاء ،مصرح فيه بالتحدي للمعاندين والمكذبين، وتوصلت في آخر هذه الرحلة الماتعة إلى ما يلي:

[١] الإعجاز اللغوي متفق عليه وأجمع عليه العلماء ، وهو الأصل الذي يتبادر للأذهان، متى ما أطلق فالمراد منه الإعجاز اللغوي ، وهو موجود في كل سور القرآن الكريم الطوال ،والقصار ،خلافا للأنواع الأخرى فالإعجاز فيها جزئي.

[٢] تبرز أهمية الإعجاز اللغوي في جوانب متعددة، ومن أهمها قيام الحجة القاطعة على أنّ القرآن الكريم ،هو كلام الله قطعا ،المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياً ،وأيضاً نزول القرآن الكريم بلغة العرب، ولن يفهمه أو يتذوق أسراره أو يستشعر جماله ،وبلاغته، إلاّ من توسع من علم اللسان، وارتقى فيه إلى درجة الإحسان.

[٣] وجوه الإعجاز اللغوي كثيرة ،ولا تحصر في وجوه معينة، وكلمّا تطور الزمان واستنار الوجدان، وتوسعنا في علم اللسان ،ظهرت لنا وجوهاً جديدة في إعجاز القرآن.

[٤] إنّه بالرغم من كثرة ما كتب في القرآن من مؤلفات وأبحاث، لا تزال مواضيع كثيرة تحتاج إلى بحث، سيما في خطابات القرآن وبلاغته.

[٥] تعلم الإيجاز والإقناع بالحجج الثابتة من أسلوب القرآن.

[٦] تنوع اتجاهات المفسرين في التعامل مع القرآن الكريم وأن هذا راجع إلى حسن سبك هذا الكتاب العزيز ودقة معانيه

[٧] الأدب الرفيع في مخاطبة الآخرين.

[٨] بيان طبيعة وقوة خطاب هذا الكتاب العزيز.

التوصيات :

[١] حث الباحثين على دراسة أنواع الإنشاء كالتمني، والنداء، والدعاء، الاستفهام وغيرها التي تظهر بها أوجه إعجاز القرآن في اللغة العربية

[٢] أهمية دراسة السور القرآنية كل سورة على حده، لما في ذلك من تحديد البحث الذي يعين على التأمل والدبر.